



ANNALES ISLAMOLOGIQUES

en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne

AnIsl 41 (2007), p. 126-140

Muḥammad Naṣr ‘Abd Al-Raḥmān

الأسطورة في المجتمع الهندي في العصور الوسطى ودلالاتها التاريخية. قصة شكروتى فرماض نموذجاً.
Al-Uṣṭūra fi-l muḡtama‘ al-hindī fi-l ‘uṣūr al-wuṣṭa wa dalālātihā al-tārīḡiyya. Qiṣṣat
ṣakrūtī firmāḡ numūḡaḡan.

Conditions d'utilisation

L'utilisation du contenu de ce site est limitée à un usage personnel et non commercial. Toute autre utilisation du site et de son contenu est soumise à une autorisation préalable de l'éditeur (contact AT ifao.egnet.net). Le copyright est conservé par l'éditeur (Ifao).

Conditions of Use

You may use content in this website only for your personal, noncommercial use. Any further use of this website and its content is forbidden, unless you have obtained prior permission from the publisher (contact AT ifao.egnet.net). The copyright is retained by the publisher (Ifao).

Dernières publications

9782724711233 *Mélanges de l'Institut dominicain d'études
orientales 40*

Emmanuel Pisani (éd.)

9782724711424 *Le temple de Dendara XV*

Sylvie Cauville, Gaël Pollin, Oussama Bassiouni, Youssef Hamed

9782724711417 *Le temple de Dendara XIV*

Sylvie Cauville, Gaël Pollin, Oussama Bassiouni

9782724711073 *Annales islamologiques 59*

9782724711097 *La croisade*

Abbès Zouache

9782724710977 *???? ???? ???????*

Guillemette Andreu-Lanoë, Dominique Valbelle

9782724711066 *BIFAO 125*

9782724711172 *BCAI 39*

محمد نصر عبد الرحمن

الأسطورة في المجتمع الهندي في العصور الوسطى ودلالاتها التاريخية

قصة شكروتى فرماض نموذجاً

كثيراً ما نصادف في بعض نصوص مؤرخى العصور الوسطى بعض الروايات التي يغلب عليها الطابع الأسطوري ويكتنفها الغموض، مما يجعلها في بعض الأحيان مستعصية على الإدراك وعسيرة على التحليل. وعادة ما نقابلها بنوع من الازدراء وعدم التفهم، ويكون مصيرها الإهمال نتيجة قناعاتنا الأثيرة بأنها مجرد روح العصر التي تأثر بها واضع النص. ولا ينبغي علينا أن نهمل هذه الروايات لأن الأساطير في حقيقتها قصص كبرى أنتجت كل حضارة لتصوغ من خلالها رؤى تفسر ما حولها. وقد تكون هذه الأساطير خيالية لكنها قد تستند إلى بعض الوقائع التاريخية، وتتضمن بعض الأساء والأمكنة الحقيقية، ثم تنسج حولها القصص. وعلى هذا وبرغم أن هذه الروايات يغلب عليها الطابع الأسطوري فإنها تمثل أحد الأركان الهامة للنص التاريخي، وهي في جوهرها عبارة عن ترميز النفاذ إليه يكشف لنا عن عمق الدلالة الحقيقية للنص. وبالتالي فنحن بحاجة لرؤية وطرائق جديدة في معالجة وفهم تلك النصوص.

وفي هذا المجال اخترت أحد النصوص التاريخية، وبعض النصوص الأخرى المتعلقة به، والتي تناولت رواية لاعتناق أحد الملوك الهنود للإسلام لكي نطبق عليها تلك الرؤية. ويرجع هذا الاختيار لعوامل عدة؛ لعل أهمها هو أن المجتمع الهندي خلال العصور الوسطى ازدهرت فيه الأسطورة ازدهاراً خصباً حتى أصبح التنجيم والتنبؤ بالغيب والقديسين وغيرها من الأمور جانباً واحداً من الصورة التاريخية التي تمثل الهند^١. بجانب تعدد النصوص التاريخية المتعلقة بتاريخ الهند، والتي تحمل في جوانبها العديد من الروايات الأسطورية، والتي جرى تفسيرها من زاوية واحدة لحمتها التشكيك في محتوى تلك النصوص، وسداتها عدم الاكتراث بمحتواها.

فقد نُظر لهذه النصوص نظرة أحادية الجانب دون التعمق في دلالاتها، ودون أن تضاف للمعادلة التاريخية عوامل أخرى تتعلق بطبيعة المجتمع الهندي وخصوصيته. لذلك علينا هنا أن نقف أمام هذا النصوص ونرسم لها فضاء آخر،

ول ديورانت، قصة الحضارة، المجلد الثاني، ص ٢٢١ وما بعدها؛
Vaudeville, Ch., *Myths, Saints and Legends in Medieval India*.

يتقدم الباحث بخالص الشكر والتقدير إلى أساتذته وزملائه الذين أثروا
البحث بملاحظاتهم السديدة عند إلقائه في الموسم الثقافي للجمعية
المصرية للدراسات التاريخية، لعام ٢٠٠٥-٢٠٠٦.

١. عن الأساطير الهندية وطبيعة المجتمع الهندي في هذا المجال انظر:

لأن النص التاريخي هنا كالكائن الحي، لا يمكن حصره أو تحديده داخل حدود صارمة، فذلك لا يؤدي إلا إلى تشويه النص وإفقاره وبتره وتجريده من ثرائه وتعقيده.

وبوجه عام يبدو منظورنا المنهجي هنا واضحاً في سعيه لتحليل الفرضيات، والإشكاليات المطروحة تحليلاً مضمونياً أو موضوعاتياً، واتخاذ الرؤية التعددية للنص عصاً نتوكاً عليها في محاولة لاستجلاء الحقيقة التاريخية.

ونصنا عبارة عن رواية وردت في مصنفين عربيين: المصنف الأول كتبه محمد بن مالك^٢ ويحمل عنوان «ظهور الإسلام في مليبار»^٣. والمصنف الثاني مجهول المؤلف^٤ يحمل عنوان «قصة چكروتى فرماض»^٥؛ وهو مروى على لسان محمد بن مالك أيضاً. والمصنفان يرويان قصة إسلام أحد الحكام الهنود من آخر ملوك أسرة چيرا ويدعى چيرامين بيرومل Cheramen Perumal^٦ من منطقة ساحل مليبار^٧.

تقديم الرواية

وتبدأ أحداث تلك الرواية بمبعث النبي ودعوته لقبيلة قريش للدخول في الإسلام، ثم تضي القصة لتحكي كيف حارت قريش في أمر النبي وعجزت عن مواجهة دعوته وتفكيرها في الاستعانة بأحد سادات العرب ويدعى (حبيب بن مالك) لنفوذ وعلمه بالأديان، فأعدوا وفداً منهم لزيارته في يثرب، وقد رحب حبيب بهم ووعدهم بالتصرف في الأمر. وبالفعل عزم حبيب على التحرك لمكة ومقابلة النبي لمعرفة أمره. وفي مكة كان اللقاء وطلب حبيب من النبي أن يأتي بمعجزة تؤيد نبوته كما فعل الرسل من قبله، وأن تكون المعجزة هي انشقاق القمر.

وخلال ذلك هبط جبريل على النبي وطمأنه بأن المعجزة ستتحقق حتى ينصره الله على مكذبيه. وبالفعل انشق القمر^٨، فأمن حبيب ومن معه، ثم عادوا إلى يثرب مرة أخرى. ولم يكن حبيب ومن معه هم من شاهد هذه المعجزة فقط، بل شاءت الأقدار أن يرى هذه المعجزة سلطان مليبار وكان يدعى چكروتى. ثم تضي القصة لتروى لنا كيف حيرت هذه

٢. محمد بن مالك: هو محمد بن مالك بن حبيب، ووالده مالك بن حبيب أحد الشخصيات المحورية في الرواية، إذ أنه كان أحد أفراد الوفد العربي الذي سافر للهند بناء على وصية الملك الهندي.. راجع مزيد من التفاصيل في البحث ص ٣-٤.

٣. انظر: Mohammad b. Malik, *Tarikh Zuhur-al Islam fil Malibar*, p. 30.

٤. مجهول، قصة شكروتى فرماض، نسخة المکتب الهندي، India Office Ms. Loth 1044 (1)، قام بنشره: Friedmann, *Israel Oriental Studies V*, p. 246-257.

٥. وشكروتى يعنى الملك أو الإمبراطور، انظر: عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، (القاهرة، ١٩٥٩)، ص ٦٤؛ وفرماض ربما كان تحريفاً لاسم بيرومل Perumal انظر: Friedmann, "Qissat Shakarawati Farmad. A Tradition Concerning the Introduction of Islam to Malabar", p. 246.

٦. هو آخر ملوك أسرة چيرا Chera التي حكمت ماليلبار، ومعنى كلمة

چيرامين Cheramen ملك من أسرة چيرا، وبيرومل Perumal هو أسمه الخاص. انظر: محي الدين الألوائى، «مالابا»، ص ٣٤.

٧. كانت تسمى قديماً كيرلم Karalam، وهى صورة محرفة لكلمة چيرلم Charalam أو چيرل بمعنى سلسلة الجبال. وكلمة ماليلبار أطلقها المسلمون على هذا الساحل، وهى مكونة من مقطعين؛ مالى Mali بمعنى جبل وبار Bar بمعنى بلد. انظر: Nadvi, "Muslim Colonies", p. 481.

٨. وردت تلك المعجزة في قوله تعالى «أَفَرَأَيْتَ السَّاعَةَ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ؟»، آية (١) - سورة القمر. كما وردت بعض الأحاديث النبوية عن تلك المعجزة، ومنها ما روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال: «انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين حتى نظرُوا، فقال رسول الله اشهدوا». رواه البخارى وسلم في صحيحهما. وللمزيد عن هذه المعجزة انظر: البيهقى، دلائل النبوة، ج ١، ص ٩٥-٩٦؛ السيوطى، الخصائص الكبرى، ج ١، ص ١٢٥-١٢٦؛ القسطلانى، المواهب اللدنية في المواهب المحمدية، ج ١، ص ٤٦٨؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٢٤٥.

الظاهرة العجيبة لب الملك الهندي وجعلته يطلب من كهنته تفسيرها لكنهم عجزوا عن تأويلها. وبعد فترة تمثل النبي له في منامه وفسر له ما رآه بخصوص انشقاق القمر. وخلال تلك الفترة قدم على بلاده جماعة من اليهود والنصارى من شبه الجزيرة العربية، وعلم منهم بظهور رجل يسمى محمد بن عبد الله وأنه يقول بالنبوة فعلم أن رؤيته حقيقية ولكن لم يظهر ذلك لما رآه منهم من عداوة للنبي.

وكان من عادة بعض العرب المرور بأرضه سواء للتجارة أو زيارة قدم آدم في جزيرة سيلان^٩. فانتظر حتى أقبل على بلاده أحد الوفود العربية المتجهة إلى جزيرة سيلان، فأرسل في طلبهم، وقد أظهر كبير الوفد وكان يدعى الشيخ ظهير الدين من الوقار والعلم ما جعل چكروتى يفضى إليه برؤياه. وهنا قص عليه الشيخ أمر النبي وارتباط المعجزة به ونجح في استمالة چكروتى للإسلام، وقرر الأخير زيارة النبي في المدينة واصطحب الوفد العربى عند إيايه من جزيرة سيلان. وبعد أن رتب الملك أمور مملكته رحل في سرية تامة صوب شبه الجزيرة العربية، وعند وصوله استقبله النبي ورحب به وأعطاه اسماً جديداً هو (تاج الدين الهندي الملبى) بعد أن اعتنق الإسلام. وفي حضرة النبي تعرف چكروتى على حبيب بن مالك وأخيه شرف، وأخيه من أمه مالك بن دينار، وارتبط بهم ارتباطاً وثيقاً حتى أنه تزوج أخت مالك، وعند عودته لبلاده اصطحب معه شرف، ومالك، ومالك بن حبيب وأبنائهم.

وأثناء رحلة العودة وأثناء توقفهم في منطقة الشحر^{١٠} جنوب اليمن مرض چكروتى مرضاً شديداً، ولما أحس بدنو أجله كتب وصيته بالخط الملبى وطلب من رفاقه أن يواصلوا رحلتهم إلى الهند، وأن يسلموا الوصية لنائبه على مملكته حتى يكرم وفادتهم. وبعدها أسلم چكروتى الروح في اليوم الأول لهجرة النبي من مكة إلى يثرب، وتم دفنه في الشحر^{١١}. ويبدو أن شرف ومالك بقوا هناك لفترة حيث تطايرت الأخبار بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم مما جعلهم يعودون للمدينة ولم يكملوا رحلتهم للهند.

ثم رأى مالك بن حبيب النبي في رؤية وطلب منه تنفيذ وصية چكروتى، لذلك سرعان ما جمع معه عميه شرف ومالك بن دينار وعائلاتهم وتوجهوا صوب الهند. ووصلوا ساحل مليبار عام ٢١ هـ / ٦٤٢ م، حيث حط الركب رحاله في مدينة كلنكلور Kalankallur وهناك أكرم الحاكم وفادتهم بعد أن سلموه الوصية، بل ومنحهم بعض الأراضي لإقامة مسجد لهم عليها وما يلزمه من أوقاف. ثم توغل مالك بن حبيب مع أسرته بعد ذلك في مليبار فاتجه لكوالم Kaulam^{١٢} وبني هناك مسجداً، وجعل ابنه قاضياً للمسلمين هناك، ثم واصل مسيرته في باقى مدن مليبار حتى بنى أحد عشر مسجداً، ثم أدركه الموت عام ٢٤ هـ / ٦٤٥ م^{١٣}. أما مالك بن دينار فقد قرر السفر إلى اليمن لزيارة قبر چكروتى، ومنها قفل عائداً نحو خراسان حيث توفته رسل الموت هناك.

٩. ورد في بعض المصادر التاريخية أن آدم بعد أن هبط من الجنة، كان هبوطه على جزيرة سيلان، وأن هناك اثر لقدمه على أحد جبال تلك الجزيرة. كما ذكر القزوينى حديثاً غريباً عن النبي يقول: خير بقعة ضربت إليها أباط الإبل مكة ومسجدى هذا والمسجد الأقصى، وجزيرة سرنديب فيها نزل أبونا آدم. انظر: الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٨٠؛ ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ٦٤؛ القزوينى، آثار البلاد، ص ٣٤.

١٠. الشحر: بكسر الشين وسكون الحاء، هى ساحل اليمن الممتد حتى عمان. انظر: البكرى، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج ٣، ص ٧٨٣؛ ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٢٧.

١١. عن مقبرة شكروتى انظر: Miles, The Countries and Tribes of the Persian Gulf, p. 552-554.

١٢. وهى ميناء جنوب ساحل مليبار، وتعرف الآن باسم كويلون Quilon وللمزيد عنها انظر: القزوينى، آثار البلاد، ص ١٠٦-١٠٧؛ Nainar, Arab Geographers' Knowledge of Southern India, p. 44-45.

١٣. وقبره معروف الآن في شال مليبار باسم قبر سيدنا مالك. انظر: عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ٦٣.

٩. ورد في بعض المصادر التاريخية أن آدم بعد أن هبط من الجنة، كان هبوطه على جزيرة سيلان، وأن هناك اثر لقدمه على أحد جبال تلك الجزيرة. كما ذكر القزوينى حديثاً غريباً عن النبي يقول: خير بقعة ضربت إليها أباط الإبل مكة ومسجدى هذا والمسجد الأقصى، وجزيرة سرنديب فيها نزل أبونا آدم. انظر: الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٨٠؛ ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ٦٤؛ القزوينى، آثار البلاد، ص ٣٤.

١٠. الشحر: بكسر الشين وسكون الحاء، هى ساحل اليمن الممتد حتى عمان. انظر: البكرى، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج ٣، ص ٧٨٣؛ ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٢٧.

١١. عن مقبرة شكروتى انظر: Miles, The Countries and Tribes of the Persian Gulf, p. 552-554.

١٢. وهى ميناء جنوب ساحل مليبار، وتعرف الآن باسم كويلون Quilon وللمزيد عنها انظر: القزوينى، آثار البلاد، ص ١٠٦-١٠٧؛ Nainar, Arab Geographers' Knowledge of Southern India, p. 44-45.

١٣. وقبره معروف الآن في شال مليبار باسم قبر سيدنا مالك. انظر: عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ٦٣.

روايات أخرى للأسطورة

وإلى هنا تنتهي روايتنا وقبل أن نتعمق في أحداثها يهمننا أن نشير أن لتلك القصة مثيلاتها في المصادر التاريخية الأخرى؛ فهناك مصدر تاريخي متأخر^{١٤} يرجع للقرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي يتناول نفس الأحداث، وتذكر هذه الرواية أن ملك مليبار أرسل في طلب وفد من المسلمين كان ماراً ببلاده في طريقه لسيلان لزيارة قدم آدم، وأنه استفسر منهم عن النبي، وأن شيخهم حدثه عن سيرة النبي ومعجزة انشقاق القمر مما جعل الملك يعتنق الإسلام ويعزم الرحيل مع هذا الوفد بعد عودته من سيلان لكي يتشرف بزيارة النبي... ثم تضي أحداث الرواية لتذكر نفس أحداث روايتنا السابقة بصورة مختصرة. ويختتم مصدرنا روايته بقوله «وليس لهذا الرأي سند واضح والرأي عندى أن هذه الواقعة كانت بعد القرن الثاني الهجري».

ومن الواضح أن صاحب هذا المصدر قام بتلخيص رواية محمد بن مالك ومصدرنا المجهول وإن لم يقتنع ببعض أحداثها ووقوعها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، واختلف مع روايتنا السابقة في مداها الزمني حيث يرجح تاريخ وقوعها في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، ويرفض بالتالي أن يكون هذا الملك قد قابل النبي، أو أن تلك الأحداث ترجع لعهد، كما أنه ذكر أن اسم هذا الملك هو الساموري^{١٥}. والملاحظ أن هذا المصدر اعتمد تفاصيل الرواية الأولى لكنه نسبها إلى فترة لاحقة دون أن يحلل ذلك، ولم يجهد نفسه في مناقشة الرواية نفسها؛ فإذا كان قد رفض أن يكون الرواية وقعت في عهد النبي فإنه لم يوضح سبب اتجاه الملك الهندي إلى شبه الجزيرة العربية، كما لم يقدم تفاصيل أخرى تبرر افتراضه.

ولدينا رواية أخرى في مصنف يدعى «رحلة الملوك»، تتناول تلك الأحداث ولكن بتفاصيل جديدة هذه المرة^{١٦}؛ وتذكر الرواية أن اعتناق چيرامين بيرومل للإسلام كان بسبب راجا ذبية المهل (جزر المالديف) الذي كانت له صلات تجارية بالعراق، وتربطه أيضاً صداقة بچيرامين بيرومل. وكان الراجا يعرف الصوفي البصري الشهير مالك بن دينار، وحصل منه على كتاب يروى معجزات النبي ومنها (معجزة انشقاق القمر). وقد قرأ الراجا على چيرامين ووزيره كريشنا منجد Krishna Munjad هذا الكتاب، وكان من أثر ذلك أن أبدى الثلاثة اهتماماً كبيراً بالإسلام وقرروا أن يقوموا بزيارة سرية للجزيرة العربية وزيارة قبر الرسول في المدينة. وفي تلك الأثناء كانت زوجة چيرامين ترغب في إقامة علاقة غير شرعية مع كرشنا، فلما أعرض عنها اهتمته بالتحرش بها، وقد صدق بيرومل روايتها الملفقة وأصدر حكمه بإعدام وزيره. لكن الوزير قام بالفرار بعد أن ترك رسالة للملك يشرح له فيها حقيقة الموقف.

وتتضي الأحداث باتجاه الوزير إلى الراجا واعتناق الاثنين للإسلام ثم تحقق چيرامين من كذب زوجته وعزمه السفر للمدينة لينسى تلك الأحداث. وبالفعل جهز نفسه للرحيل مع ابن أخته الأمير كوهنور Kohinoor، وخلال ذلك لحق به وزيره كريشنا وسافر ثلاثتهم معاً من مدينة كرنجور (كدنغلور) Crangaor عام ٨٢ هـ / ٧٠١ م في عهد الخليفة

١٤. زين الدين المليباري، تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين، ١٦. انظر: Umar b. Muhammad Suhrawardi, *Rihlat al Muluk*, p. 20-22. ص ١٣-١٧.

١٥. ساموري، ساموتري، تاموري، تاموتري، هي صور محرفة لكلمة ساموري ومعناها ملك البحر انظر: محي الدين، مابلا، ص ٣٤.

الوليد بن عبد الملك!! ثم وصلوا البصرة حيث كان في انتظارهم مالك بن دينار، ثم تحركوا من البصرة للمدينة وظلوا بها ١١ عام. وفي عام ٩٤ هـ/ ٧١٣ م عادوا إلى مليبار، وفي طريق العودة مرض جيرامين وتوفي في الشحر بساحل اليمن ودفن هناك. ثم أكمل كوهنور الذي بدل اسمه بعد إسلامه إلى صفى الدين محمد ومعه مالك بن دينار ومعهم بعض أقارب مالك وآخرون من البصرة، حيث استقروا في مليبار وبنا هناك ١١ مسجد

وفي هذا النص نجد اختلافاً جزئياً في بنينه عن النصوص السابقة وإن تشابهت بعض الشخصيات والأحداث فيجيرامين هنا لم يقابل النبي أو شاهد المعجزة، وإن كان قد سافر بالفعل للجزيرة العربية واعتنق الإسلام وتوفي في طريق عودته باليمن. كذلك اختفت شخصيات وظهرت شخصيات أخرى، فقد اختفت شخصية مالك بن حبيب إحدى الشخصيات الرئيسية في نصنا الأصلي، وظهرت شخصيات أخرى مثل راجا ذبية المهل، والوزير كرشنا، والأمير كوهنور، كما ظهر دور مالك بن دينار بصورة أساسية في هذا النص. وبغض النظر عن الاختلاف في بعض الأحداث والشخصيات يبقى الخط الأساسي للرواية وهو رحلة جيرامين واعتناقه الإسلام، والتأكيد على معجزة انشقاق القمر حتى وإن لم يشاهدها الملك كما في نصنا الأصلي، وعودة الوفد العربي إلى مليبار وبناء المساجد هناك هو الخط الذي يهمننا في تلك الرواية.

ولم تكن المصادر الإسلامية هي الوحيدة التي تناولت هذه الأحداث، بل كانت هناك إشارات قريبة منها في بعض المصادر الهندية غير الإسلامية، ففي الحوليات التاريخية لمملكة جيرا Keralopathi^{١٧}، نجد أن هناك إشارات عن وجود ملكين من مملكة جيرا قاما بزيارة مكة؛ الملك الأول هو بالي بانا بيرومل Bali Bana Perumal، والثاني هو جيرامين بيرومل. وإن كانت الحوليات قد اختلفت في ذكر التفاصيل؛ فالملك الأول ذكرت أنه ذهب لمكة واعتنق البوذية!! وهو أمر غريب فما جدوى زيارته لمكة إذن؟. والثاني ذكرت أنه توجه لمكة عام ٣٣٢ م وهو تاريخ بعيد حتى عن عهد الرسول وبعثته التي تمت بعد عام ٦٠٠ م^{١٨}.

وقبل أن نتصدى لنصنا الأساسي وصورته المتغيرة في النصوص الأخرى ربما يجدر بنا الوقوف قليلاً عند رواية أخرى قصيرة لها دلالات قد تفيدنا في رؤيتنا المنهجية، والرواية تحكى أن أهل سيلان حين سمعوا عن النبي بعثوا للجزيرة العربية أحد أفضل رجالهم ومعه غلامه لكي يستطلع الأمر ويتحقق من صدق نبوته. لكن هذا المبعوث لم يصل الجزيرة العربية إلا في عهد عمر بن الخطاب (١٣-٢٣ هـ / ٦٣٤-٦٤٤ م) _ ولم تحدد الرواية الأسباب التي أعاققت هذا الرجل عن الوصول مباشرة. وقد أعجب الرجل بما سمعه عن النبي وخليفته أبا بكر الصديق وما لمسه من عدل وتواضع عمر بن الخطاب. وفي طريق عودته قضى نحبه وهو في مكران^{١٩}، فتكفل الغلام بنقل تفاصيل تلك الرحلة لأهالي سيلان، مما كان له كبير الأثر في حبههم للإسلام والمسلمين^{٢٠}، واعتناق راجا سيلان للإسلام^{٢١}.

٢٠. بزرك بن شهریار، عجائب الهند بره وبحره، ص ١٥٦-١٥٧؛ عبد المنعم النمر، الإسلام في الهند، ص ٦٩-٧٠.
٢١. فرشته، تاريخ فرشته، ج ٢، ص ٣١١؛ Nadvi, "Muslim Colonies", p. 478.

١٧. انظر: Gundert, Keralopathi, p. 32.

١٨. انظر: Randathani, Genesis and Growth of the Mappila Community.

١٩. تقع مكران في الجنوب الشرقي من إيران وللمزيد عنها انظر، المستوفي، نزهة القلوب، ص ١٤١؛ دهخدا، لغت نامه، ص ٩٩٠؛ Holdish, "Notes on Ancient and Medieval Makran", p. 387-405.

ونلاحظ أن الرواية الأخيرة تتشابه مع نصنا الأساسي من حيث الهدف من الرحلة، وهو زيارة النبي والتعرف إليه؛ كذلك موت الشخصية الرئيسية في الروايتين وتكفل المبعوث بمهمة نقل الرسالة، وتقارب مكان هذا الموت من ساحل اليمن إلى ساحل إيران الجنوبي.

موقف المؤرخين من الرواية

ونعود مرة أخرى إلى نصنا الرئيسي؛ ونبدأ برؤية المؤرخين المحدثين له، حيث انقسموا لفريقيين؛ فريق يرفض الرواية جملة وتفصيلاً، وآخر يقبلها ولكن مع التحفظ على بعض أحداثها وعلى الفترة التي وقعت فيها. والفريق الأول^{٢٢} يرى أنه لا يوجد دليل ملموس على صحة هذه الرواية التاريخية لغلبة الطابع الأسطوري عليها، ولأن الكثير من تفاصيلها تحوم حوله الشبهات. بجانب أن الشخصيات التي ذكرت بها لا يدعمها التاريخ، ويرى أن جيرامين ليس اسم ملك بل مجرد لقب ملكي، وأن اسم «ظهر الدين» اسم غريب ولا يمكن أن يكون مسماه معاصراً للملك المزعوم في القرن التاسع الميلادي، إذ أن كلمة «الدين» لم ترد في أسماء المسلمين إلا في القرن الخامس الهجري. كما أنه لم يثبت أن مالك بن دينار قد زار الهند. كذلك لأن الفترة الزمنية التي من المفترض أنهم تنقلوا فيها في ساحل مليبار وبنوا المساجد الإحدى عشر تعتبر قصيرة نسبياً ولا تناسب هذا العمل.

على الجانب الآخر، يرى نارايانان Narayanan^{٢٣} أنه لا يوجد سبب لرفض رواية زيارة ملك چيرا ملكة واعتناقه للإسلام، مبرراً قوله بأن هذه الأحداث لم تذكر في المصادر الإسلامية فقط، بل في بعض الحوليات الهندية أيضاً مثل Keralopathi. وهناك أيضاً زهور Zahoor الذي يقبل صحة بعض تفاصيل الرواية^{٢٤}؛ مثل قدوم بعض العرب للمليبار، وبرر قدومهم لبلاط الملك المليباري بأنه جاء بناء على دعوة شخصية من الملك من أجل التعرف على الدين الإسلامي، وإن كان يرجح أن أحداث الرواية وقعت بعد وفاة النبي بفترة قليلة.

ويؤيد الألواني^{٢٥} رواية زين الدين المليباري، ويرى اعتماداً على بعض الدراسات المقارنة أن الملك غادر مليبار إلى شبه الجزيرة العربية عام ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م، وأنه وصلها عام ٢١٢ هـ / ٨٢٦ م، ثم توفي هناك بعد أربعة سنوات، ثم وصل مالك ورفاقه إلى مليبار بعد سنتين من وفاته. لكن هذا التحديد الزمني لا يوجد ما يؤكد حقيقته بشكل قاطع حتى الآن.

وهناك من الباحثين من لم يهتم بأحداث الرواية بقدر الاهتمام بدلالاتها؛ فقد استنتج إنيس Innes أن المغزى من الرواية هو إظهار أن الأسرة الحاكمة في مليبار انتهت بإسلام ملك يحمل لقب بيرومل ثم تم عزله^{٢٦}. كما رأى فريدمان Friedmann^{٢٧} أن الرواية تعبير عن رغبة المسلمين الهنود في إظهار أن دخولهم في الإسلام تم في فترة مبكرة من التاريخ

٢٥. انظر: محيي الدين الألواني، مابلا، ص ٤٧.

٢٦. انظر: Innes, Malabar and Anjengo, p. 436.

٢٧. انظر: Friedmann, Qissat Shakrawati Faramad, p. 245.

٢٢. انظر: أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص ٢٢٦؛ تاراشند، «الثقافة الهندية ووصول المسلمين إلى الهند»، ص ٢٦؛ أبو الصلاح، «كبرلة القديمة والعرب»، ص ٩.

٢٣. انظر: Narayanan, Perumals of Kerala, p. 65.

٢٤. انظر: Zahoor, Chakrawati Faramas, King of Malabar, India.

الإسلامي؛ وأن مؤلف هذا النص التاريخي أراد أن يثبت أن اعتناق الهنود للإسلام في البداية لم يقتصر على الطبقات الدنيا التي كانت ترغب في تحسين أوضاعها في ظل الدين الجديد، وإنما اعتنقه الملوك أيضاً. أو أنها تحمل الدليل على طابع المسألة الذي اتسمت به مؤثرات نشر تعاليم الإسلام في الهند^{٢٨}. أو أن بداية انتشار الإسلام واستقرار المسلمين كان في ساحل مليبار^{٢٩}.

وهكذا كان النص التاريخي الوارد في مصنف محمد بن مالك والمصدر المجهول، وما حواه من تفاصيل بدت أسطورية في غالبها مثار جدال بين المؤرخين المحدثين، مابين رافض للنص جملة وتفصيلاً وبين قابل لها ولكن مع الخلاف حول زمن وقوعها.

تقييم الرواية

سيكون تعاملنا مع هذه الرواية من جانبيين؛ الأول يتعلق بمدى صحة أحداثها. والثاني التعمق في دلالات هذا النص التاريخي وما يحمله من إشارات وذلك في ضوء ثلاثة محاور؛ الأول يتناول الدور العربي في هذه الرواية، والثاني معجزة انشقاق القمر ومكانتها في التراث الهندي، والثالث شخصية جيرامين بيرومل ومكانتها في التراث الهندي.

وبداية فيما يتعلق بصحة الأحداث الواردة في الرواية نجد الكثير من الثغرات التاريخية ولا نجد سنداً تاريخياً لهذه الأحداث في المصادر التاريخية المؤرخة لتلك الفترة أو حتى في كتب السنن والسيرة النبوية^{٣٠}. وذلك باستثناء ما ورد في مستدرك الحاكم^{٣١} عن أبي سعيد الخدري أنه قال «أهدى ملك الهند إلى الرسول جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه كل منهم قطعة قطعة وأطعمني منها قطعة». وهذه الإشارة وإن كانت لا تحدد شيء، إلا أنها تبدو على الأقل دليلاً على وجود صلة بين النبي وأحد ملوك الهند.

وكذلك فإن الشخصيات الواردة فيها لا يوجد لها ذكر تاريخي باستثناء شخصية مالك بن دينار^{٣٢} الذي نعرفه كواحد من أشهر متصوفة البصرة، والذي عاش في أواخر القرن الأول وبدايات القرن الثاني الهجري. وبالتالي لم يثبت زمنياً تواجد في كلا الفترتين اللتان ذكرتا عند محمد ببالك والمصدر المجهول أو زين الدين المليباري، بجانب أنه لم يثبت تاريخياً أنه سافر إلى الهند أو كانت له صلة بهذه الأحداث، وحتى رواية «رحلة الملوك» التي أعطت لملك بن دينار دوراً أساسياً في الأحداث ليست دليلاً حاسماً على زيارته للهند.

٣١. أبو عبد الله الحاكم، المستدرك، ج ٤، ص ٣٥؛ المباركوري، العرب والهند في عهد الرسالة، ص ١١١.

٣٢. مالك بن دينار البصري، عالم زاهد عاش بالبصرة وتوفي عام ١٣١ هـ. وللمزيد عنه انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٤، ص ١٣٩-١٤٠؛ Arberry, *An Introduction to the History of Sufism*, p. 26-31; Nicholson, *Studies in Islamic Mysticism*, p. 89-90.

٢٨. أنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص ٢٢٦؛ Titus, *Islam in India and Pakistan*, p. 38.

٢٩. انظر: Always, "The Role of the Arabs in the Spread of Islam in India", p. 54.

٣٠. انظر على سبيل المثال: البخاري، الجامع الصحيح المختصر؛ أبو عبد الله القزويني، سنن ابن ماجه؛ ابن هشام، السيرة النبوية، القاهرة؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك؛ حسين مؤنس، دراسات في السيرة النبوية.

كما تظهر العديد من المتناقضات في جوهر النص نفسه خاصة في التواريخ المذكورة به؛ فالمفترض في النص الأصلي أن زيارة چكروتى تمت قبل هجرة النبى إلى يثرب، وأن عمر النبى وقتها كان ٥٧ سنة، كما أن وفاة چكروتى بعدها كانت يوم هجرة النبى وهو أمر غير صحيح وفقاً للسيرة النبوية، فقد هاجر النبى إلى يثرب عام ٦٢٢ م وعمره ٥١ عام^{٣٣}. وبرغم ذلك تبقى دلائل وقوع هذه الأحداث قوية، ولعل ما يدعم ذلك أن شخصية چكروتى من الشخصيات المشهورة في الفلكلور المليبارى^{٣٤}. وتذكر هذا الحادث كان حياً في مليبار حتى وقت قريب، فعندما كان حاكم مليبار يعتلى العرش كانوا يخلقون له رأسه ويكسونه كواحد من المسلمين، ويتوجه رجل مسلم، وبعد حفل التتويج يعاملون الحاكم كأنه مارق فلا يبيحون له أن يجالس حتى أقاربه وأهل بيته، ويزعمون أنه نائب عن الملك الغائب ويتنظرون رجوعه من البلاد العربية. وعندما يتوج بعض الأمراء هناك يحملون السيف يعلن كل واحد في دوره قائلاً «إنى أحافظ على هذا السيف حتى يرجع العم الذى رحل إلى مكة»^{٣٥}. وظل هذا التقليد قائماً حتى عام ١٨٩٠ م^{٣٦}. وربما يكون قريباً من هذا الافتراض ما ذكره بعض الباحثين^{٣٧} من وجود أسرة مالكة مسلمة بشمال مليبار تعرف باسم «أركل راجاومشم» أى الأسرة المالكة بأركل Arakkal. وأن هذه الأسرة يرجع أصلها إلى چيرامين بيرومل؛ فمؤسس هذه الأسرة المالكة ويدعى محمد على هو ابن السيدة «سرى ديوى» أخت چيرامين بيرومل. وأن هذه الأسرة تحتفظ بوثائق تاريخية تتحدث عن بداية الدعوة الإسلامية في ساحل مليبار. وقد برز اسم هذا المؤسس كما ذكرنا في مصنف رحلة الملوك.

وتوجد على جدران المسجد الجامع ببلدة بونانى Ponnani بمليبار أبيات منقوشة للشاعر الصوفى الكبير قاضى عمر يتحدث فيها عن چكروتى بوصفه أول مسلم في مليبار^{٣٨}:

وبعد فكدغلور منشا موسم	بچكروت برماض مليك معظم
بقطر مليبار جرى حكم ملكه	على كل ذى ملك بها بالتقدم
فمعجزة الهادى النبى بيقظة	رآها انشقاق القمر لا بالتغيم
فحب النبى منها على قلبه وقع	ففى قطرنا قد صار أول مسلم

الدور العربى فى الرواية

وقد عثر مؤخراً أحد الباحثين الهنود^{٣٩} على نقش يؤيد وصول رفاق چكروتى إلى مليبار خلال الفترة التى ذكرتها روايتنا الأولى. والنقش عبارة عن نص قديم باللغة العربية منقوش على العتبة الخشبية للمسجد الجامع في مدينة كاسر جود

٣٣. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣ وما بعدها؛ ابن كثير،

البداية والنهاية، ج ٣، ص ١٧٧ وما بعدها؛ حسين مؤنس، دراسات في السيرة النبوية، ص ٤٦.

٣٦. انظر: Jaihoon, *Perumal in the Theyyum Songs*, p. 34.

٣٤. عن مكانة شكروتى في الفلكلور المليبارى انظر: Fawcett, "War Songs of the Mapillas of Malabar", p. 449-508, 528-537.

٣٧. محيى الدين الألوائى، «مليبار (كيرله)»، ص ٥٧؛ Mohideen, *Islam in Kerala*, p. 7-8.

٣٥. عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ٦٧؛

٣٨. انظر: *Poems of Umar Qazi*.

٣٩. عن هذا الكشف انظر: Rao, *New Fact on Islam's Arrival*.

Kasargod في مليبار، والنص يتحدث عن وصول هؤلاء العرب للمنطقة وقيامهم بنشر الإسلام وبنائهم المساجد فيها. كما يتحدث عن تكوين مؤسسات دينية اجتماعية هناك لمباشرة شؤون المسلمين. كما يذكر أن قبر ابن مالك بن دينار الذي عين قاضياً على تلك المدينة بواسطة أبيه ما زال بساحة هذا المسجد. لكنه لم يشر للملك چكروتى أو زيارته للنبي. ويفصح الكشف الأخير عن صحة بعض ما جاء بالرواية، مما يؤكد وجود جذور تاريخية لهذه الأحداث.

والمدقق في النص الأصلي للرواية يجد أنه يعتبر سيرة ذاتية لمالك بن حبيب وذريته ودورهم في انتشار الإسلام في ساحل الهند الغربي أكثر من كونه قصة لإسلام حاكم هندي، وظهر ذلك في رواية (محمد بن مالك بن حبيب بن مالك)، وكذلك رواية المؤلف المجهول نقلاً عن ابن مالك. ففي بداية النص نجد أن راوى القصة هو أحد أحفاد هذه الأسرة، لذا اهتم بذكر التفاصيل الدقيقة لهذه الأسرة والدور الذي لعبته في نشر الإسلام في الساحل الغربي للهند. لذلك فالنص الأصلي يحمل بين طياته تمجيداً لدور العرب - خاصة أسرة مالك بن حبيب - في نشر الإسلام وبناء المساجد في مليبار. ولعل ذلك راجعاً لما حظى به المسلمون من تكريم واضح في المنطقة؛ حيث حمل المسلمون في هذا الساحل لقب مابلا^{٤٠}. صفوة القول أن الوضع الذي تميز به المسلمون في هذا الساحل ربما كان دافعاً قوياً لمحاولة إظهار الدور العربي في نشر الإسلام لينال حظاً أكبر من هذا التكريم والتميز.

معجزة انشقاق القمر ومكانتها في التراث الهندي

ثم ننتقل بعد ذلك لمعجزة انشقاق القمر، التي يبدو أن لها وضعية خاصة في التراث الهندي، فلم تكن قصة چكروتى هي الوحيدة التي ارتبطت برؤية هذه المعجزة، ولم يكن هو الملك الهندي الوحيد الذي رآها. فهناك رواية أخرى وردت في مصنف فارسي متأخر يعرف باسم «رياض الأولياء»^{٤١}. ويروى صاحب هذا المصنف قصة إسلام أحد الحكام الهنود البوذيين ويدعى راجا بهوج Bhoj، وكانت عاصمته مدينة أوجين Ujain^{٤٢}، حين رأى انشقاق القمر، فجمع حاشيته والعلماء واستفسر منهم عن هذه الظاهرة الغربية فأخبروه أنها مرتبطة بالنبي العربي محمد. وعلى الفور أوفد الملك وزيره في سفارة إلى النبي محمداً إياه بعض التساؤلات للتحقق من صدق نبوته. وبعد أن أجاب النبي على هذه التساؤلات للوزير أشهر الأخير إسلامه، كما أعلن أن بهوج سيظهر هو الآخر إسلامه. وقد أعطى النبي لبهوج اسماً جديداً وهو «عبد الله»

المسلمون لدى حاكم جيرا في ساحل مليبار والتي جعلته يصدر أمراً لكل أسرة من البحارة في مملكته بأن تربي واحداً أو اثناً من أولادها على الديانة الإسلامية. عن هذه الآراء انظر: أبو الصلاح، كيرلة، ص ١٠؛ محيي الدين الألواتي، مابلا، ص ٣؛ Tarachand, *Influence of Islam*, p. 33; Innes, *Malabar and Anjengo*, p. 190.

٤١. بختيار خان، رياض الأولياء، مخطوطة بالمتحف البريطاني (BM Or. 1745). نشر: Friedmann, *Qissat Shakarawati*, p. 257.

٤٢. كانت تقع على الساحل الشالي الغربي للهند وللمزيد من التفاصيل عنها انظر: Law, *Historical Geography of Ancient India*, p. 197-299

٤٠. تتكون هذه الكلمة من الناحية اللغوية من مقطعين: (ما) بمعنى أم، (بلا) بمعنى ابن انظر، الحاج مولوى، فيروز اللغات، ص ١٩٠، ١٠٣١. Plata, *A Dictionary of Urdu*, p. 163, 977.

وقد اختلف الباحثون في تفسير هذا المصطلح، إذ رأى البعض أن معناها الطفل الأكبر أو الزوج، بينما مال آخر للمعنى اللغوي ورأى أنه مكون من مقطعين بمعنى ابن الأم، (ما بمعنى أم، وبلا بمعنى ابن) على اعتبار أن العرب كانوا يتزوجون من نساء مليبار، ثم يطلقوهم عند عودتهم لبلادهم، فكان أولادهم يدعون بلقب مابلا نسبة إلى أمهاتهم المليبارية. بينما رأى ثالث أن (ما) هنا كلمة سنسكريتية معناه العظيم، وأن سكان مليبار احتفاءً منهم بأولاد المسلمين لقبوهم باسم مابلا بمعنى ابن العظيم، ويؤكد ذلك بما عرف من الثقة العظيمة التي كان يحظى بها

وفوضه في اختيار اسم جديد لوزيره. وعندما عاد الوزير وقص على الملك ما حدث أشهر الملك إسلامه وسمى وزيره باسم الشيخ چنگال. ويختتم المؤلف روايته بقوله وقد مات قبل الهجرة وفي بعض الروايات بعد الهجرة، وقبرى الملك ووزيره موجودين في مدينة دهار Dahar، والتي أصبحت عاصمته بعد إسلامه.

وتبدو هذه الرواية متشابهة إلى حد ما مع رواية چكروتى في رؤية انشقاق القمر، مع اختلاف التفاصيل. كما تتشابه معها في عدم وجود سند تاريخي لها في السيرة النبوية أو المصادر التاريخية الأخرى، باستثناء ذكر لها في مصدر فارسي متأخر^{٤٣} يتحدث عن قصة بهوج باختصار ولكن يذكر انه حاكم للدكن. واسم بهوج ومملكته في أوجين لا يبدو غريباً على تاريخ الهند؛ فمن الثابت أن فرعاً من البرتهاريين Pratiharas (٨٠-٣٩٣ هـ/ ٧٠٠-١٠٠٣ م^{٤٤}) اتجه منذ وقت مبكر إلى أوجين وكون مملكة صغيرة هناك، كما حمل أكثر من حاكم لتلك المملكة اسم بهوج^{٤٥}. كما عثر أحد الباحثين^{٤٦} على مقبرة في مدينة دهار Dhar منقوش عليها نص يتحدث عن وصول ولى يدعى عبد الله چنگال إلى المدينة مع جيش كبير، وعن تحويله للمعبد البوذى الموجود بالمدينة إلى مسجد. كما تحدث عن إسلام بهوج، واختياره تلك المدينة لتكون حاضرة جديدة له.

وهناك رواية هندية أخرى مرتبطة بمعجزة انشقاق القمر، وتعرف باسم قصة الشيخ الهندي «رتن»، والقصة رواها أحد التجار المسلمين ويدعى محمد بن الحسين خلال القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى، غز يروى أنه إبان وجوده في رحلة تجارية بالهند، وفي إحدى مدنها قيل له أن بها الشيخ رتن الذى قابل النبی وما زال على قيد الحياة، وعلى الفور اتجه ومن معه لمقابلته. وبعد أن التقوا به رحب بهم الشيخ المعمر وقص عليهم حكايته حيث كان تاجراً سافراً لمكة قبل بعثة النبی وقابله بالصدفة وهو يرعى الغنم ولم يكن يعرفه، ثم ساعده في أمر ما فدعا له النبی بطول الأجل، وبعد انتهاء رحلته قفل عائداً إلى الهند. وبعد فترة من الزمن شاهد انشقاق القمر، ولما سمع من التجار العرب المارين بالهند أن تلك المعجزة مرتبطة بالنبی ذهب لمكة واسلم بين يديه، ودعا له مرة أخرى بطول الأجل. وبفضل هذا الدعاء عاش رتن ٦٠٠ عام ونيف^{٤٧}. ويذكر صاحب رسالة شق القمر أن رتن كان أحد رسل بهوج للنبي لامتحان صدق نبوته^{٤٨}.

تلك باختصار قصة التاجر الهندي الشيخ رتن التي روتها المصادر الإسلامية مع التشكيك في محتواها. وبرغم ما يبدو فيها من مبالغة، وعدم وجود سند تاريخي لها؛ فإن ما يهمننا في تلك الرواية هو ارتباطها بمعجزة انشقاق القمر، مما يؤكد على مكانة هذه المعجزة في التراث الهندي. ولعل هذه المكانة ترجع إلى ولع الهنود بهذه الظواهر الغريبة، وإيمانهم بالغيبات؛ لذلك لم يكن غريباً أن تحرص معظم الروايات التي تناولت هذه القصة على ربطها بمعجزة انشقاق القمر سواء برؤية الملك لها أو سماعه عنها وتأثره في الحاليتين بها.

٤٣. رفيع الدين دهلوى، رسالة شق القمر، مخطوطة فارسية بالكتاب الهندي (India Office. Ms. D. P. 1145). نشر: Friedmann, Qissat Shakarawati, p. 258; Id., "A Contribution to the Early History of Islam in India", p. 324.

٤٤. أسرة البرتهاريين هي الأسرة الحاكمة لمملكة قنوج في شمال الهند وتحديدا شرقها، وقد استطاعوا مد نفوذهم غرب الهند أنظر: Mahajan, Muslim Rule in India, p. 17.

٤٥. عن الحكام الذين حلوا هذا اللقب من هذه الأسرة انظر: Ganguly, History of the Paramara Dynasty.

٤٦. للمزيد من التفاصيل عن هذا الكشف انظر:

٤٧. رفيع الدين دهلوى، رسالة شق القمر، مخطوطة فارسية بالكتاب الهندي (India Office. Ms. D. P. 1145). نشر: Friedmann, Qissat Shakarawati, p. 258; Id., "A Contribution to the Early History of Islam in India", p. 324.

٤٨. أسرة البرتهاريين هي الأسرة الحاكمة لمملكة قنوج في شمال الهند وتحديدا شرقها، وقد استطاعوا مد نفوذهم غرب الهند أنظر: Mahajan, Muslim Rule in India, p. 17.

٤٩. عن الحكام الذين حلوا هذا اللقب من هذه الأسرة انظر: Ganguly, History of the Paramara Dynasty.

٥٠. للمزيد من التفاصيل عن هذا الكشف انظر:

شخصية جيرامين بيرومل ومكانتها في التراث الهندي

ثم نأتى لشخصية جيرامين بيرومل أو چكروتى فرماض، وحرص الروايات بما فيها نصنا الأصلي على جعله من أوائل من اسلموا ووضعه في مصاف الشخصيات الأسطورية، وتبدو هذه الرواية محاولة لإبراز جيرامين كشخصية إسلامية مميزة في مواجهة التراث الآخر للأديان المتعددة في المنطقة، فقد كانت مليبار مركز لتجمع العددي من الأديان والمذاهب. فهناك أسطورة تتحدث عن انتشار البوذية في مليبار على يد بالي بانا بيرومل الذى اعتنقها وحاول إقناع براهمة مليبار بها لكنهم رفضوها وتآمروا عليه وقطعوا لسانه ونفوه من البلاد، لكنه تمكن من العودة ونشر الدين البوذي بين سكان مليبار^{٤٩}. بل كانت هناك محاولات لتصوير جيرامين على أنه اعتنق البوذية وليس الإسلام؛ فقد رأى أحد المؤرخين^{٥٠} أن چكروتى هو «بالي بانا بيرومل» الذى نشر البوذية في ساحل مليبار بعد أن اعتنقها.

كما أن هناك أسطورة تامليلية تحكى أن قديس هندوسى يدعى «مانى بهاسكرن» ذهب إلى سواحل مليبار في القرن الثالث الميلادى وقام بعمل بعض المناظرات مع المسيحيين هناك ونجح في إقناع بعضهم حتى دخلوا في الهندوسية. وهناك أسطورة مسيحية تروى أن القديس توماس St Thomas اتجه للمليبار خلال القرن الأول الميلادى لى يبشر بالمسيحية هناك، وأول مدينة نزل بها هى كدغلور حاضرة جيرامين بيرومل وقام ببناء عدة كنائس في مليبار، ونجح في إقناع عدد كبير من سكان مليبار باعتناق المسيحية^{٥١}.

كما كانت هناك هجرات يهودية لساحل مليبار من يهود اليمن الذين فروا هرباً من اضطهاد المسيحيين لهم هناك واستقروا مع عائلاتهم في مدن مليبار، وأول مدينة نزلوها هى كدغلور حاضرة جيرامين بيرومل، وكان زعيمهم يسمى «جوزيف ربان»، وصار اسمه يتردد في الأغاني الشعبية اليهودية وأدعيتهم^{٥٢}.

وهكذا نرى أن لكل ديانة في مليبار بطلها المخلص الذى تحرص على تمجيده، بل أن بعضها حاول الالتصاق بشخصية جيرامين، لذلك لم يكن غريباً حرص الروايات الإسلامية على الالتصاق بتلك الشخصية وتأكيد انتبائه لجانبها، وذلك كشخصية أسطورية تلهب خيال الهنود من جهة، وكملك قوى كان لاعتناقه الإسلام أثره في نشر ودعم الإسلام في ساحل مليبار. وكما يقول أحد الباحثين^{٥٣} إن الاعتراف بمثل هذه الشخصيات الأسطورية يؤدي إلى كشف لحظة تاريخية، وهذا ممكن إذا درست الأساطير دراسة غير تاريخية بمعنى عدم اعتبارها جزءاً من التاريخ الفعلى الذى قام واستمر في ذلك الزمان بقدر ما تقدم من دلالات تاريخية.

وعلى ذلك فإن روايتنا لم تكن مجرد سرد لأسطورة تتعلق باعتناق حاكم هندي للإسلام بقدر ما كانت رواية تحمل العديد من الدلالات؛ فالرواية ترصد في الأساس الوجود العربى في الهند ودوره في نشر الإسلام في ساحل مليبار. وحرصت على ربط هذا الدور بشخصية چكروتى التى تحمل مكانة خاصة لدى الهنود للتأكيد على أهمية هذا الدور؛ كما حرصت على إبراز معجزة انشقاق القمر في هذا السياق نظراً لأهميتها في التراث الهندي.

٥٢. الألوائى، مليبار، ص ٣٥.

٤٩. الألوائى، مليبار، ص ٥٠-٥١.

٥٣. عبد الهادى عبد الرحمن، التاريخ والأسطورة ١٩٩٤، ص ٥٤.

٥٠. انظر: Menon, *The Cochin State Manual*, p. 36-37.

٥١. الألوائى، مابلا، ص ٤٠.

وهكذا فإن القراءة المتأنية للنصوص التاريخية التى تبدو من ظاهرها حبل بالأساطير قد تفتح علينا أبواباً أخرى من المعرفة التاريخية، تلك الأبواب التى نرفض أحياناً ولوجها متأثرين بنظرتنا السطحية للنصوص أحياناً. والتعمق فى النص وما به من روايات يغلب عليها الطابع الأسطورى وفق رؤية متحررة من أية أحكام مسبقة ستقودنا بلا شك إلى آفاق معرفية أرحب، ولعل فى النص الذى تناولناه وما تلاه من نصوص، والدلالات التى خرجنا بها منها ما يدعم هذه الفرضية.

المصادر والمراجع

أولاً

المصادر والمراجع العربية

- ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج ٢، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضى، بيروت، ١٩٩٥.
- أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون، القاهرة، ١٩٤٧.
- البخارى، الجامع الصحيح المختصر، بيروت، ١٩٨٧.
- بختيار خان، رياض الأولياء، مخطوطة بالمتحف البريطانى (BM Or. 1745). نشر: Friedmann, Y., in *Israel Oriental Studies*, V (1975).
- بزرگ بن شهریار، عجائب الهند بره وبحره، ليدن، ١٨٨٦.
- البكرى، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، ج ٣، تحقيق مصطفى السقا، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
- البيهقى، دلائل النبوة، ج ١، القاهرة، ١٩٧٠.
- تاراشند، «الثقافة الهندية ووصول المسلمين إلى الهند»، مجلة ثقافة الهند، مارس ١٩٥٠.
- الحاج مولوى، فيروز اللغات، أردو جامع، لاهور، ١٩٧٨.
- ابن حجر، الإصابة فى معرفة الصحابة، ج ١، القاهرة، ١٩٣٩.
- حسين مؤنس، دراسات فى السيرة النبوية، القاهرة، ١٩٨٨.
- ابن خرداذبه، المسالك والممالك، نشر دى غويه، ليدن، ١٨٨٩.
- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٤، بيروت، ١٩٧٧.
- الذهبي، ميزان الاعتدال فى نقد الرجال، ج ٢، تحقيق على محمد البجاوى، القاهرة، ١٩٦٣.
- زين الدين الملبارى، تحفة المجاهدين فى بعض أخبار البرتغاليين، تحقيق: حكيم شمس الله قادري، حيدر آباد (د.ت.).
- السيوطى، الخصائص الكبرى، ج ١، حيدر آباد، ١٣١٩ هـ.
- أبو الصلاح، «كيرلة القديمة والعرب»، مجلة ثقافة الهند، يناير ١٩٦٢.
- الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٠.
- أبو عبد الله الحاكم، المستدرک، ج ٤، حيدر آباد.
- أبو عبد الله القزوينى، سنن ابن ماجه، بيروت (د.ت.).
- عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام فى الهند، القاهرة، ١٩٥٩.
- عبد الهادى عبد الرحمن، التاريخ والأسطورة، بيروت، ١٩٩٤.
- فرشته، تاريخ فرشته، ج ٢، بومباى، ١٩٠٠.
- القزوينى، آثار البلاد، بيروت، ١٩٦٠.
- القسطلانى، المواهب اللدنية فى المواهب المحمدية، ج ١، القاهرة، ١٢٨١ هـ.
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، بيروت، ١٩٩٤.
- ، البداية والنهاية، ج ٣، بيروت، ٢٠٠١.
- المباركبورى، العرب والهند فى عهد الرسالة، القاهرة، ١٩٧٣.
- مجهول، قصة شكروتى فرماض، نسخة المكتب الهندى، India Office Ms. Loth 1044 (I)، قام بنشره: Friedmann, Y., in *Israel Oriental Studies*, V (1975), p. 246-257.

ول ديورانت، قصة الحضارة، المجلد الثاني: الهند وجيرانها، ترجمة زكي نجيب محمود، محمد بدران (القاهرة، ٢٠٠١).
ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، بيروت (ب.ت.).

محي الدين الألوائي، «مابلا»، مجلة ثقافة الهند، سبتمبر ١٩٥٥.
—، «مليبار (كيرله)»، مجلة ثقافة الهند، مارس ويونيو ١٩٥٦.
ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، ١٩٣٦.

المصادر والمراجع الفارسية

ثانياً

نشر: Friedmann, Y., in *Israel Oriental Studies*,
V(1975).
المستوفي، نزهة القلوب، بسعي واهتمام لسترانج، لندن، ١٩١٩.

دهخدا، لغت نامه، تهران، ١٣٣٦ ش.
رفيع الدين دهلوي، رسالة شق القمر، مخطوطة فارسية
بالمكتب الهندي (India Office. Ms.D.P. 1145).

المراجع الأجنبية

ثالثاً

Alway, M., "The Role of the Arabs in the Spread of Islam in India", *Minbar al-Islam* 4, 1964.
Arberry, J., *An Introduction to the History of Sufism*, Oxford, 1962.
Fawcett, F., "War Songs of the Mapillas of Malabar", *Indian Antiquary* XXX, 1901.
Friedmann, Y., "Qissat Shakarawati Farmad. A Tradition Concerning the Introduction of Islam to Malabar", *Israel Oriental Studies* V, 1975.
—, "A Contribution to the Early History of Islam in India", *Studies in Memory of Gaston Wiet*, Jerusalem, 1977.
Ganguly, D., *History of the Paramara Dynasty*, Dacca, 1933.
Gundert, H., *Keralopathi*, Balan publications, Trivandrum, 1961.
Holdish, S., "Notes on Ancient and Medieval Makran", GJ, 1896.
Horovitz, S., "Baba Ratan, The Saint of Bhatinda", *Journal of Pakistan Historical Society* 2, 1954.
Innes, M., *Malabar and Anjengo*, Madras District Gazetteers, Madras, 1906.
Mahajan, D., *Muslim Rule in India*, New Delhi, 1970.
Menon, A., *The Cochin State Manual*, Ernakulam, 1911.
Miles, S., *The Countries and Tribes of the Persian Gulf*, London, 1919.

Mohammad b. Malik, *Tarikh Zuhur-al Islam fil Malibar*, Mal. trans., K.K. Muhammad Abdul Karim, Markaz al-'Ulum Souvenir, Kondotti, 1988.
Nadvi, S., "Muslim Colonies in India before the Muslim Conquest", *Islamic Culture* 8, 1934.
Nainar, H., *Arab Geographers' Knowledge of Southern India*, Madras, 1942.
Narayanan, M., *Perumals of Kerala*, Trivandrum, 1972.
Nicholson, A., *Studies in Islamic Mysticism*, Cambridge, 1967.
Plata, J., *A Dictionary of Urdu, Classical Hindi and English*, Lahore, 1983.
Tarachand, M., *Influence of Islam on Indian Culture*, Allahabad, 1954.
Titus, M., *Islam in India and Pakistan, A Religious History of Islam in India and Pakistan*, Calcutta, 1959.
Umar b. Muhammad Suhrawardi, *Rihlat al Muluk*, Mal.Trans., K. Abdu Rahman.
Vaudeville, Ch., *Myths, Saints and Legends in Medieval India*, Oxford, 1996.
Yazdani, G., "The Inscription on the Tomb of Abdullah Shah Changel at Dhar", *Epigraphia Indo-Moslemica*, 1909-1910.

- Jaihoon, *Perumal in the Theyyum Songs*,
<http://jaihoon.com/watan/peruteyymn.htm>
- , *Poems of Umar Qazi*,
<http://jaihoon.com/watan/umarpoems6.htm>
- Randathani, H., *Genesis and Growth of the Mappila Community*,
<http://jaihoon.com/watan/indarbmappilacommunity.htm>
- Rao, B., *New Fact on Islam's Arrival*,
<http://muslimsonline.com/babri/keralamuslim.htm>
- Zahoor, A., *Chakrawati Faramas, King of Malabar, India*,
<http://www.cyberistan.org/islamic/farmas.htm>